

التبيان في تفسير القرآن

(265) قلوبهم بخلهم بما آتاهم الله من فضله مع الاعراض عن أمر الله، وهو قول الحسن وقال مجاهد: معناه أعقبهم ذلك بحرمان التوبة كما حرم إبليس، وجعل ذلك إمارة ودلالة على أنهم لا يتوبون أبداً لآحد شيئين: من قال: أعقبهم بخلهم رد الضمير إليه، والمعنى يلقون جزاء بخلهم، ومن ذهب إلى أن الله أعقبهم رد الضمير إلى اسم الله، وقوله "بما أخلفوا الله ما وعدوه" فالإخلاف نقض ما تقدم به العقد من وعد أو عزم وأصله الخلاف، لأنه فعل خلاف ما تقدم به العقد. والوعد متى كان بأمر واجب أو ندب أو أمر حسن قبح الإخلاف، وإن كان الوعد وعداً بقبيح كان إخلافه حسناً. وقوله "وبما كانوا يكذبون" يقوي قول من قال: إن الضمير عائد إلى الله لأنه بين أنه فعل ذلك جزاء على أخلافهم وعده وجزاء على ما كانوا يكذبون في إخبارهم عليه. قوله تعالى: ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم وأن الله علام الغيوب (79) آية. الالف في قوله "ألم يعلموا" الف استفهام والمراد به الإنكار. يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) "ألم يعلموا" هؤلاء المنافقون "أن الله يعلم سرهم" يعني ما يخفون في أنفسهم وما يتناجون بينهم، والمعنى أنه يجب عليهم أن يعلموا ذلك. تقول: أسرهم إسراراً، واستسر استسراراً، وسارهم مسارة وسراراً، وتساروا إسراراً، والاسرار إخفاء المعنى في النفس والنجوى رفع الحديث باظهار المعنى لمن يسلم عنده من إخراجهم إلى عدو فيه لأنه من النجاة تقول: نجاه مناجاة، وتناجوا تناجياً فكأن هؤلاء المنافقون يسرون في أنفسهم الكفر ويتناجون به بينهم. وقيل: السر والنجوى